المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

- المجلد العشرون - العدد الاول - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

WWW.ATTAWEEL.COM

نحوي عربي من القرن الثامن (الميلاد)

(دراسة عن منهج سيبويه في النحو)

بقلم

مايكل جي كارتر

ترجمة

د. عبدالمنعم آل ناصر

سبق ان نشرت المورد مقالة للكاتب نفسه عنوانها « عشرون درهماً » (المجلد ١٦ ، العدد ١ ، ص ص ١١٩ - ١٢٨ ، ١٩٨٧) وهذا مقال ثان للكاتب نفسه نشره في مجلة الجمعية الاميركية الشرقية (العدد ٩٣ - ١٩٧٣) ويعدّ متمماً لموضوع المقال الذي سبقه اذ تبحث المقالتان في اسلوب سيبويه في التحليل النحوي استناداً الى كتابه المشهور . يعمل الكاتب في جامعة سدني في استراليا وله اهتمام بالنحو العربي فلقد تقدم برسالة دكتوراه الى جامعة اوكسفورد (١٩٦٨) كانت دراسة لمنهج سيبويه في التحليل النحوي كما له مقالات كثيرة حول قضايا في النحو العربي . ان القاء نظرة حديثة على أقدم وأوسع كتاب في النحو العربي حري بأن يثير اهتمام كل الذين يدرسون العربية ونحوها لكون مثل هذه الدراسات تعد تقويماً لأول دراسة منهجية شهدتها النهضة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية وكم من حاجة بنا الى ربط الماضي بالحاضر . لقد شهدت العلوم اللغوية نهضة سريعة وما زالت تتسارع باطّراد خلال القرن العشرين . وانصرف الكثير من أبناء الأمة العربية الى الارتشاف من منهلها وخاصة في الجامعات الغربية هذا الى جانب الكثيرين غيرهم ممن واصلوا دراساتهم للغة العربية في جامعات الوطن العربي وكانت أكثر بحوثهم تتبع المنهج التقليدي في درس النحو . وما أحوجنا الى ربط السبلين فلن نجد بغيتنا في الانقطاع عن تراثنا الغني بمادته ولن نحقق التقدم العلمي السليم إذا تجاهلنا الثورة الهائلة التي حدثت في الدراسات اللسانية الحديثة . وهذا رأي نحوي غربي معاصر في جانب من أهم جوانب نظرية النحو العربي حري بنا أن نستثمر الفرصة في الوقوف عليه وكأننا ننظر الى انفسنا من خارجها والله الموفق .

المترجم

تمهيد :

ان أول عمل منهجي في النحو العربي ، وهو كتاب سيبويه ، يمثل نوعاً من التحليل البنيوي لم يصبح معروفاً عند الغرب حتى القرن العشرين . ويتعامل سيبويه مع اللغة على أنها شكل من السلوك الاجتماعي فيتبنى المقاييس الاجتماعية السائدة في عصره في تقويم مستوى الصواب في اللغة على جميع مستويات التحليل اللغوي : فمصطلحا (حسن) و (قبيح) يشيران الى الصواب البنيوي على حين يشير مصطلحا (مستقيم) و (محال) الى مدى قدرة المتكلم على التواصل ضمن تقاليد المجتمع . (الكتاب ، ج ١ ، ص ٨) .

انه لا يتولى تحليل الألفاظ الى ثمانية أقسام للكلام على النمط الاغريقي بل يحللها الى أكثر من سبعين صنفاً وظيفياً . وينظر سيبويه الى كل وظيفة لغوية على أنها تتحقق بوصفها وحدة ثنائية تحتوي عنصراً فاعلاً « العامل » (وهو المتكلم نفسه أو عنصر معين في ما يلفظه) وعنصراً سالباً ، المعمول فيه من قبل العنصر الفاعل في الوحدة الثنائية . واسلوب سيبويه هذا شبيه بطريقة تحليل المكونات المباشرة لأنه يتبع اسلوب تحليل كل لفظة الى وحدات ثنائية :

Immediate Constituent Analysis الى درجة ملحوظة يشاركه طرقه العامة في التحليل ونواقصه ، كما سيظهر في بحثنا هذا .

١ . الغرض من هذه الدراسة ان تقدم بكل ما يمكن من الايجاز العناصر الرئيسة في النظرية النحوية التي بدأت في أول مؤلف منهجي في النحو العربي ، وهو (الكتاب) لسيبويه الذي ألفه في اواخر القرن الثامن الميلادي[1] .

ان افتقار الكتاب الى عنوان رسمي هو أمر غامض يوازي غموض ما نعرفه عن أصل المؤلف و « خلفيته » وتاريخ حياته وتفاصيلها[2] . وحيث ان من المعترف به ان هذا الكتاب يعد المنبع الرئيس لكل تلك المؤلفات الهائلة العدد في النحو العربي يصبح من المطلوب ان تكون محتوياته في متناول يد اللسانيين المحدثين والذين من بينهم من لا يعرف عن نظرية النحو العربي الا النزر اليسير ، فضلاً عن دارسي النحو العربي الذين كثيراً ما تكون معرفتهم لأساليب وطرق البحث اللغوي أقل مما ينبغي (سمعان ، ١٩٦٨ ، ص ص ٣ - ٥) .

نستطيع من خلال حجم الكتاب (أكثر من ثمانمائة صفحة في الطبعات الحديثة) وشموليته ان نقول بثقة ان القصد من الكتاب هو ان يقدم تحليلاً مستفيضاً لـ « كل تلك الالفاظ المعروفة بأنها ترد في اللغة » (Wells , 1947 , P.81) . ان حقيقة كون معظم المادة التي درسها سيبويه في كتابه كانت اما من القرآن الكريم أو من الشعر العربي في عصر ما قبل الاسلام يجب ان لا تؤخذ دليلاً على انه انحياز أو محاباة للقديم ، كما حاول أحدهم ان يوحي به (Bloom field , 1935 , P.10) ، بل على أنها مؤشر الى (الخلفية) الثقافية لعملية تأليف الكتاب ، لأنه كتب في زمن كان المجتمع يستمد جميع قيمه من المرحلة المبكرة للتاريخ العربي .

فهدف سيبويه أن يقدم وصفاً كاملاً للعربية إلا أن مما يؤسف له أن من تبعه من النحويين حولوا انجازه ذاك الى اتجاه معياري صارم في النحو العربي ما زال يعدّ السمة السائدة (حالياً) لمجمل الدرس النحوي[3] .

ومع ان جميع النحاة العرب يحملون مقولة ان العربية الفصحى كانت لغة منطوقة ، مع عجزهم المتزايد عن إثبات ذلك لم نكن نلمس أيّ تبرير ملموس لهذا الافتراض إلا عند سيبويه : فهو يتعامل مع اللغة المكتوبة وكأنها كتابة صوتية فونيمية للغة المنطوقة ، ويبني جميع تحليلاته على افتراض أن الكلام نشاط اجتماعي يقع في أقل سياق حديث يكون من اثنين : متكلم ومخاطب . بعد ذلك مهماً لسببين أولهما أنّ الكلام يعامل على أنه شكل من السلوك والعرف الاجتماعيين[4] وثانيهما ، وهو نتيجة منطقية لذلك ، ان المخاطب له دوره الخاص في تحديد الشكل اللغوي الذي يستعمله المتكلم .

ومع انه ليس في الكتاب مصطلح مجرد يقابل كلمة (grammar) ، هناك مجموعة كاملة من المصطلحات التي تشير الى « طريقة » تكلم الناس ، مما يؤكد فكرة ان سيبويه كان يعد الكلام شكلاً من السلوك . ان مما يلفت الانتباه ان تكون جميع هذه المصطلحات أخذت من مفهوم جذري واحد وهو الحركة على امتداد خط ، وهو استعمال مجازي يعرفه كل دارس للاسلام . وهكذا نكتشف في الكتاب المفردات الآتية التي تخص « طرق » التكلم والتي تستعمل أيضاً مع المفردات العامة في الاسلام للتعبير عن « طرق » معينة في السلوك : « طريقة » ، التي تدل كذلك على (مسلك تصوفي) ، « وسنّة » ، وهي المصطلح العلمي للفقه الاسلامي الأصلي ولمعيار السلوك التقليدي العربي ، و« مذهب » ، أي « طريقة » في التفكير ، و« شرع » وهي لفظة مشتقة من الشريعة وهي نصوص التشريع الاسلامي ، و« وجه » ، أي (الاسلوب الملائم) ، وهي مفردة تشيع في السياقات كلها ولها اشتقاقات كثيرة ، و« مجرى » ، أي (سبيل) ، ولها ايضاً عدة اشتقاقات . إلا أن أكثر المصطلحات شيوعاً في الكتاب التي تعبّر عن طريقة التكلم هو مصطلح النحو ، الذي يعني حرفياً ، طريقاً واتجاهاً واسلوباً وهي لفظة ربما وجدناها مستعملة مرة واحدة على الأقل في كل صفحة . ولما كانت لفظة النحو نفسها لم تكن تعني « قواعد اللغة » ، وهو معنى اكتسبته بعدئذ ، فعلينا ان نفترض أن المعنى الأخير لهذه اللفظة هو تكوين لاحق من كلمة (النحويون) التي يستعملها سيبويه للاشارة الى أولئك « الذين يشغلون أنفسهم بطريقة

الناس في التكلم » .

ان خير حكم على الكلام ، باعتباره شكلاً من السلوك ، هو ما استنبط في ضوء المقاييس السلوكية ، ولهذا الغرض توسع سيبويه جداً في نقل التعابير السلوكية الى مجال النحو[1] . وهكذا يستعمل مصطلح « القياس » ليتوصل به الى استنتاجات مبنية على فكرتين هما المنزلة والموضع ، وفي مقاييس الصواب لديه نراه يستعمل المفردات الاخلاقية فحسن وقبيح ، ومستقيم (وهو المصطلح الوارد في القرآن الكريم : الصراط المستقيم) ومحال (الكتاب : ج ١ ص ٨) . يبدو واضحاً ان أول مصطلحين (حسن ، قبيح) اللذين يشيران الى شكل السلوك الانساني قد استعملهما سيبويه في وصف الاشكال اللغوية ويمكن تفسيرهما على انهما يدلان على تركيب بنيوي سليم أو غير سليم ، وهذا التعبير يلفت نظرنا الى المصطلح الحديث « حسن التكوين » (Well- formed) الذي اصبح شائع الاستعمال في الأوساط اللسانية . ويرتبط المصطلحان الأخران ـ كما يستعملها سيبويه ـ بفكرة القدرة على الفهم عند المخاطب ، فيكون أحسن ما يقابل مصطلح مستقيم ان يكون « صحيحاً » ضمن معنى « ملائم او مناسب أو صائب اجتماعياً » لكون اللفظة تعبر عن واجب المتكلم في ان يكون مفهوماً ، ومثله مصطلح محال الذي يفضل له ان يؤخذ على انه يعني « خطأ » لكونه يشير الى الفاظ لا يمكن ان تصلح للتواصل . وفيما يأتي نص ما جاء في الكتاب في هذا الصدد (الكتاب : ج ١ ص ٨) :ـ

« هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة »

« فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب . .

١ ـ فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غداً .

٢ ـ واما المحال فأنْ تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً ، وسآتيك أمس .

٣ ـ وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ، ونحوه .

٤ ـ وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكي زيداً يأتيك ، واشباه ذلك .

• ـ واما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس » .

يتبين لنا من خلال هذا الباب وبدون أي غموض ان مسألتي الصدق والكذب كما جاءتا في الكتاب لا دور لهما في الحكم على لفظة معينة بأنها « صواب » أو « خطأ » (أي مفهومة أو لا معنى لها)[2] . وبأن لفظة معينة قد تكون « صواباً » دون أن تكون « حسنة » أي صحيحة البنية[3] . يضاف الى ذلك إننا مدعوون الى ان نستنتج بأن صواب بنية اللفظة يتعلق بموقع كل عنصر في اللفظة ، أي في موقعه الوظيفي الصحيح . وان أية استنتاجات اخرى (وقد كان منها الكثير) مبنية على الافتراض الخطأ بأن سيبويه لم يلتفت الى جميع الترتيبات الممكنة لمصطلحاته انما هي استنتاجات غير مشروعة (M.Harman , 1896 , P.5 ; G.Jahn , 1894 , P.8) .

ان هذه المقاييس تتلاءم كلياً مع التعريفات التي اعطيت لها ، استناداً الى كيفية استعمالها في الكتاب . فان جميع السمات البنيوية في العربية ، من مستوى الفونيم (الوحدة الصوتية) الى مستوى الجملة ، قد قومت أما حسنة أو قبيحة[4] ، كما تبين الأمثلة النموذجية الآتية :

١ . « وانما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه . . . » (الكتاب : ج ٢ صص ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

٢ . « . . . فكما قبح تحقير ليس قبح تحقير سوى » . (الكتاب : ج ٢ ، ص ١٣٥) .

٣ . « . . . فان قلت : لا تدن من الأسد يأكلك فهو قبيح ان جزمت ، وليس وَجْهَ كلام الناس . . . فان رفعت فالكلام حسن . . . » (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٥١) .

« . . . لأنه ليس موضعاً تحسن فيه الصفة ، كما يحسن الاسم . . . » (الكتاب : ج ٢ ، ص ١٧٥) .

يبين المثال المبين في اعلاه بوضوح العلاقة بين المصطلحات البنيوية حسن وقبيح وبين فكرة الوظيفة . فاذا اتخذنا تعريف بلومفيلد (للوظيفة) دليلاً لنا ، وهو : « ان الموضع الذي تقع فيه وحدة لغوية هو وظائفها ، أو بصورة اجمالية ، وظيفتها » (Bloomfield , 1935 , P.185) ، فلن يكون هناك شك في ان سيبويه اراد بمصطلح الموضع ان يعطي معنى الوظيفة كما في المثالين الآتيين : « اعلم ان لِكَمْ موضعين : فأحدهما الاستفهام ، وهو الحرف المستفهم به ، بمنزلة كيف وأين . والموضع الآخر : الخبر ، ومعناها رُبَّ » . (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٩١) .

« وليس كل موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه الجزاء . . . » (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٥١) .

خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان كلمة موضع ما هي الا صيغة مختصرة من عبارة « موضع في الكلام » ، مثل : « . . . إلا ان الواو لا يكون موضعها في الكلام موضع الفاء » . (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٢٥) .

ونظراً لأن ما ذكرناه ليس إلا أمثلة قليلة مما لا يحصى من أمثلة عن استعمال المصطلحات موضع وحسن وقبيح والتي اخترناها أولاً لكونها مختصرة ، يحق لنا ان نستنتج ان سيبويه ، كان يمارس بوعي نوعاً من اللسانيات البنيوية لم تكن معروفة في الغرب حتى القرن العشرين ، على الاقل فيما يخص هذا القسم من تحليله النحوي .

ان دليلنا الوحيد الى معنى مصطلح مستقيم في التعريف المذكور هو ان لا علاقة لها بالصدق أو بالبنية اللغوية ، الا أن سيبويه يتوقع منا على ما يبدو ان نلاحظ ان الالفاظ « الصائبة » هي اعتيادية ومعقولة نوعاً ما مقارنة مع الالفاظ « الخطأ » . وهذا هو ما نجده حقاً عندما نتعقب حالات استعمال هذا المصطلح على صفحات الكتاب بصورة عامة . فمثلاً لا يكون « مستقيماً » ان نبدأ جملة تعادلية Equational Sentence (وهي جملة اسمية خبرها اسم أو جار ومجرور . المترجم) بمبتدأ نكرة أو أي شيء لا يعلم المخاطب أي شيء عنه ، وكذلك المتكلم (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٢) وهذا هو المدخل الى ما يريده سيبويه من مصطلح لفظة « صواب »[٩] . ان المخاطب هو الذي يحكم بصواب الكلام : فان الكثير مما نقوله ، كما يوضح سيبويه ، يعتمد في شكله على ما نرى ان مخاطبنا يتوقعه ، والذي نظل نخمن اسئلته الينا[١٠] . (الكتاب : ج ١ ، ص ٢١٤) .

بهذا تكون الالفاظ « الصائبة » هي تلك التي ترضي المخاطب أما بأن توصل له معلومات كان يجهلها ، كقول سيبويه : « . . . ألا ترى انك لو أشرت له (المخاطب) الى شخصه فقلت : هذا أنت : لم يستقم » . (الكتاب ج ١ ، ص ٧١) ، أو بأن توصل المعلومات المقصودة له لا الى أحد غيره . ولأجل ايراد مثل عن النقطة الاخيرة يذكر سيبويه انك اذا اردت ان تغير جملة « زيد أخو عبدالله مجنون به » الى جملة « * زيد مجنون به أخو عبدالله » لم يكن مستقيماً لأن ذلك سيكون معناه « مجنون بزيد أخو عبدالله » وهو ليس ما يعنيه المتكلم البتة . (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٤٣) . يظهر من هذه الأمثلة وغيرها مثلها ان الالفاظ « المستقيمة » هي تلك التي يؤدي بها المتكلم دوره الاجتماعي في التواصل والتخاطب ونستطيع ان نضيف الى ذلك ما يأتي : بالرغم من اننا نستطيع ان نوصل المعلومات بألفاظ قبيحة (غير صحيحة البتة) ، فان من الواضح ان سيبويه كان يقصد ان يكون المعياران مترابطين بحيث تكون الجملة « المستقيمة » جملة « حسنة » كذلك ، والعكس بالعكس ، كقوله :

« . . . لو قلت : هذا رجل خيرٌ ، وهذا رجل أفضلُ ، وهذا رجل أبٌ ، لم يستقم ولم يكن حسناً » . (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٢٩) .

أما ما يخص المعيار الآخر : محال ، فيكفي أن نقول انه يعني الجمل التي لا يمكن أن تعني شيئاً البتة بالنسبة للمخاطب . مثل قوله :

« فإن قلت : * مررت برجل صالح ولكن طالح ، فهو

محال ، لأن لكن لا يتدارك بها بعد إيجاب ، ولكنها يُثبت بها بعد النفي . . . » (الكتاب : ج ١ ، ص ٢١٦) .

نرى في هذا المثال ان المتكلم يسيء الى بنية اللغة وعرفها السائد بحيث ينأى بنفسه بعيداً خارج مجتمعه اللغوي . ومما يلفت النظر ان المخاطب ايضاً يمكن أن يكون نفسه في الموقف نفسه : [وذلك] :

« . . . انك لو قلت : أزيد عندك أم بشرٌ فقال المسئول : لا ، كان محالاً . . . » (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٨٣) .

لأن هذا النوع من السؤال يدل على ان أحد الأمرين وان (أي انما هو سؤال عن مفرد وان الجواب بنعم أو لا انما يكون جواباً عن نسبة مستفهم عنها . المترجم) . وان نفي كليهما يفسد البناء اللغوي بأكمله علاوة على إخلاله بالعرف الاجتماعي الذي يستند اليه . (بعد سيبويه معاني الكلام أموراً عرفية ، راجع الكتاب ج ١ ، ص ٢٧) . وعلى الشاكلة نفسها يكون « قبيحاً » أن نجعل الضمائر تشير الى غير ما تعنيه عرفاً كقولك : « * عبدالله هو فيها » (حيث الضمير « هو » لا يعني عبدالله) (الكتاب : ج ١ ، ص ٣٠٠) وذلك لأسباب واضحة . ومثله أيضاً ، ربما أقل وضوحاً ، قولك :

« * هذه ناقة وفصيلها الراتعان » (الكتاب : ج ١ ص ٢٤٧) الذي يفترض فيه ان يعني : (هذه ناقة وفصيلها كلاهما يرتعان) لكن الصفة المعرفة « الراتعان » لا يمكن ان تصف الاسم النكرة « ناقة » . ان ذلك يجعل المخاطب غير قادر على ربط قسم من الجملة (الراتعان) مع بدايتها بسبب التغير في البنية ، وهذا بالضبط ما عناه سيبويه بتعريفه المحال بأنه ما ناقض آخرهُ أولَه . بذلك يكون الكلام « المحال » مختلفاً عن الكلام « غير المستقيم » : فالأول منهما لا يمكن أن يكون له معنى في حين يكون للثاني بعض المعنى حتى لو كان مبهماً أو كان غير ما قصده المتكلم .

ان الجمل الصحيحة البنية تسمى عنده « ما يحسن السكوت عليه » (الكتاب : ج ١ ، ص ص ١٨٤ و ٢٦١ و ٢٦٩ و ٢٨٣ و ٣٤٧) ، والجمل المستقيمة هي ما كانت « مستغنية » (دلالةً) (الكتاب : ج ١ ، ص ص ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٣٤٧ و ٤٨٠) . اذن فكل جملة تامة تنتهي بسكوت ، لكن ما هو أوثق صلة بالموضوع هو ان سيبويه كان أدرك ان السكوت يسبق أيضاً كل جملة . فهو يقول ان كل كلام يبدأ بنداء ظاهر أو محذوف فيكون بذلك مؤشراً لبداية كل جملة (الكتاب : ج ١ ، ص ٣١٦) . وبالشاكلة نفسها تكون علامة الوقف على أواخر الكلام في العربية الفصيحة حذف الحركة ، والذي لا يقع الا قبل الوقف أو ما يحتمل أن يكون وقفاً .

عند النظر الى سمتي السكوت في اول الكلام وآخره نراهما يشبهان كثيراً ما جاء به هارس تعريفاً للفظة بأنها أي مقدار من الكلام من شخص واحد يكون قبله وبعده سكوت من هذا الشخص الى درجة ملحوظة (Harris , 1951 , P.14) . كما يمكننا ان نزعم ان سيبويه كان يستعمل بالأساس الاسلوب نفسه في تجزئة الكلام الذي بدأه هارس في كتابه المشار اليه : اذا كان على كل جملة تامة ، مهما كان طولها ، ان تبين الملامح البنيوية والدلالية المدرجة هنا ، واذا كان احتمال الوقف ان يقع عند حدود الوحدات الصرفية (المورفيم) (Id., P.174) فان طريقة سيبويه تستطيع فعلاً ان تفرد الوحدات الصرفية بنجاح ، على الأقل في المستوى الذي يمكن أن تظهر به ، كونها ألفاظاً مستقلة ، أي على مستوى الكلمة . هنالك حقيقتان تؤكدان ذلك : أولاهما ان الملامح البارزة لفواصل الكلام في العربية قد استبدلت بأشكال الوقف عندما تذكر كلمة على انفراد (الا اذا ركز الانتباه على بعض جوانب الكلمة مما يمنع وقوع ذلك طبعاً) ، وثانيتهما ان العادة في الكتاب ان تذكر الوحدات الصرفية التي ترد منفردة بشكل جملة ذات كلمة واحدة[١] ، أي بشكل جملة تامة بنية ودلالة والتي تتكون من كلمة واحدة فقط .

يبدو هنا ان سيبويه قد تمكن من ايجاد حل للمعضلة التي تواجه النحوي الذي يتبع طريقة تحليل المكونات المباشرة ، الذي سيكون سبيله الوحيد في افراد الكلمات هو ان يحذف من

عناصر الجملة الى ان تبقى لديه الكلمة المطلوبة (الا اذا صادف انه كان لديه جملة من كلمة واحدة) . وما يتبقى لديه بعد ذلك سيكون محاطاً من جانبيه بسكوت مصطنع ، سيظهر بشكل « أصغر جملة في اللغة » (Harris , 1951 , P.332) ، وها نحن أولا نجد أنفسنا مبهورين بالشبه المدهش الذي نجده بين غايات وأساليب سيبويه وبين تلك التي يتبعها علماء اللسانيات في القرن العشرين .

٢ . لقد لاحظنا فيما سبق طريقة استعمال سيبويه للمعايير التي اقتبسها من القيم الاخلاقية في تقويمه الكلام بوصفه حدثاً اجتماعياً . بقي علينا ان نبين انه في تحليله للكلام قد عمل بشكل واعٍ ومنهجي على احالة اللغة الى مجموعة من الوظائف مستعملاً طريقة لها أوجه شبه جوهرية بالتحليل الحديث للكلام الى مكونات مباشرة . نرى سيبويه باعتباره نحوياً وظيفياً سرعان ما يستعرض الاصناف الشكلية للعربية في الباب الأول من كتاب : ففيها صنفان فقط لهما معالم واضحة دلالة وصرفاً ، وهما الاسماء والأفعال ، لذا فهو يعرّف ما تبقى من الاشكال اللغوية باتجاه سالب لا يعدها من جهة الصرف اسماءً ولا أفعالاً ، ومن جهة الدلالة ان ليس لاحدها معنى معين . ويسمى هذا الصنف من الكلام (الحروف) وان أي تعريف يخصص لاحد أعضاء هذا الصنف انما يأتي نتيجة العلاقة بينه وبين وظيفة نحوية معينة (راجع الملاحظة رقم (١٢) أدناه) .

وفي المقابل المغاير لهذه الاصناف الشكلية الثلاثة يشخص سيبويه ما لا يقل عن سبعين صنفاً وظيفياً في اللغة ، وفيما يأتي قائمة بهذه الأصناف على قدر ما أستطيعه من التمام :

الابتداء والاسناد والبناء والاضافة والوصف والنعت والنداء والندبة والقسم والاستغاثة والاستثناء والعطف والاستفهام والبدل والاشارة والابهام والتكرير والغلط والتأكيد والحذف والحكاية والتحذير والحشو والتعميم والتخصيص والفصة والكناية والالتباس والمدح والتعظيم والشتم والترحّم والتحقير والتصغير والتعجب والمبالغة والايجاب والتثبيت والالغاء والتنبيه والأمر والنهي والمخاطبة والاظهار والاضمار والجزاء والتقديم والتأخير والفصل والوصل والقطع والاعجام والاعراب والادغام والامالة والاشمام والترخيم والتعويض والافراد والتثنية والجمع والتبعيض والتنكير والتعريف والتنوين والرفع والنصب والجر والجزم والوقف . تلك ليست الا « طرق » للتكلم دل عليها مصطلح النحو ومرادفاته المذكورة اعلاه والتي صنف سيبويه بوساطتها احداث الكلام كلها ، تلك التي لها شكل لساني يمكن تحديده (أي انه لا يشغل نفسه بمثل تلك الأحداث التي ليس لها أهمية لغوية مثل الضحك والفكاهة والصراخ وغيرها) . وعلى كل هذا العدد من الوظائف تتوزع وتتبوب تلك المجموعة الضئيلة من الاصناف الصرفية التي درست بكل اختصار في الباب الأول من الكتاب ، وذلك برهان ، ان كان هناك حاجة لبرهان ، على ان سيبويه هو بالأساس نحوي وظيفي ، فليس هناك إلا الأساس الوظيفي الذي يستطيع بموجبه ان يميز بين اقسام الكلام المتماثلة شكلاً مثل الاسماء والصفات والظروف ، أو بين تلك البنى المتشابهة شكلاً مثل الجملة الفعلية ومكملاتها المتنوعة والمتعلقة بها .

لقد اشير الى جميع الوظائف النحوية بأسماء فعلية يضاف الى ذلك أمر هو الغاية في الأهمية لفهم سيبويه ان حوالي نصف الوظائف قد وصفت بشكل وحدات ثنائية ذكر فيها اسم الفاعل واسم المفعول مشتقين من اسم الوظيفة . ويمكن في الحقيقة ان يوصف المبدأ العام للتحليل النحوي لسيبويه ممثلاً بشكل ترتيب ثلاثي لمصطلحاته النحوية الخاصة : وهو :

يبين الترتيب الثلاثي ان في أي تركيب لغوي يكون فيه لاحد العناصر تأثير نحوي في عنصر آخر ، أي (عمل) ، إذ يدعى العنصر المؤثر باسم الفاعل المناسب لتلك الوظيفة ، وهو العامل في هذا المثال ، ويدعى العنصر الذي يتعرض للتأثير باسم المفعول ، وهو المعمول فيه .

ولو كانت المصطلحات النحوية البينة التي وردت في الكتاب قد مكنتنا من ان نمثل لكل وظيفة بثلاثي (triad) لكان ذلك أمراً عرضياً الا ان الحال ليست بهذه الشاكلة . غير ان هناك سبباً وجيهاً جداً لهذا الأمر . فعندما نتفحص قائمة الوظائف يتضح لدينا ان ليس هنالك تمييز واضح بين تلك الوظائف التي يكون فيها المتكلم نفسه هو العامل وتلك التي يكون فيها أحد عناصر التركيب اللغوي هو الذي يعمل في العنصر الآخر . يمكن الافتراض في نهاية الأمر ان المتكلم يكون دائماً هو المحرك الرئيس في كل عملية نحوية ، وان سيبويه كان مدركاً لذلك تماماً ، الا ان النحوي قد يكون معذوراً اذا ركز اهتمامه على سلوك الجملة بدلاً من سلوك المتكلمين (راجع الكتاب : ج ١ ، صص ١١٦ و ١٧٠ و ١٧١ الخ) لذلك نجد في الكتاب مجموعة كاملة من المصطلحات تخص عمل العناصر اللغوية ضمن الجمل ، أما عندما يكون المتكلم هو العامل فلا نجد الا الجزء المعمول فيه من الجملة يشار اليه بمصطلح معين* ، مثل :

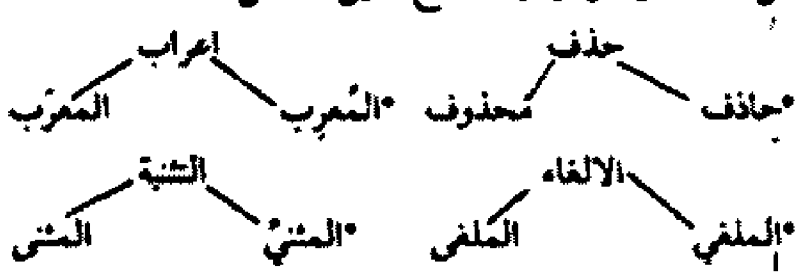

من السهل علينا أن نخمن ما ستكون عليه المصطلحات التي تستعمل للمتكلم باعتباره العامل الذي لم يسمّ ، وقد جرى تأشير هذه المصطلحات المخمنة بنجمة (*) في الثلاثيات اعلاه . وربما يجدر بنا ان نضيف الى هذا النوع من الوظائف كلاً من التقديم والتأخير والافراد والجمع والتأكيد والتكرير والحكاية والقصة والكناية والمدح والشتم والتعظيم والتحقير والتصغير والادغام والتعجب والتثبيت والايجاب وآخر غيرها (لست احاول هنا ان اتقدم بتصنيف محدد) .

---

* يستعمل كاتب المقال هذه الاشكال التي يطلق عليها مصطلح « الثلاثي Triad » وسيلة توضيحية لتدل على ان كل وظيفة كلامية لها عنصران ، العامل والمعمول ، أو العنصر الذي يؤدي العمل والعنصر الذي يشير الى اتمام العمل . المترجم .

من الواضح ان سيبويه لم يقصد ان يؤخذ المتكلم بنظر الاعتبار في هذه الوظائف : فان عدداً من الوظائف مثل التحقير والتصغير أو المدح والشتم والترحم ، أو التعظيم لا يختلف بعضها عن بعض بنيوياً ، لكنها تختلف في دوافع المتكلم فقط .

فيما يأتي عدد من الثلاثيات التي تمثل مرحلة انتقال لافتة للانتباه يعمل فيها المتكلم على قسمي التركيب النحوي كليهما ، والذي يحوي بذلك عنصرين يشار الى كلٍ منهما باسم مفعول . .

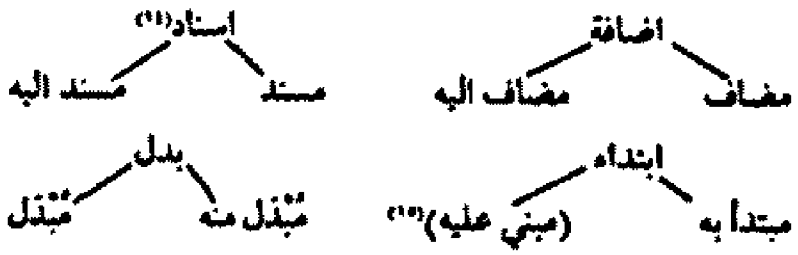

ان مما يلفت النظر ان الوظائف المذكورة في الثلاثيات التي مر ذكرها انها أكثر التراكيب النحوية أهمية في العربية ، وقد يجوز انها كانت بالنسبة لسيبويه حالات تقترب من الحد الفاصل يكون فيها المتكلم على وشك ان يسلم الأمر لقواعد البنى النحوية التي ليس له القرار على شكلها النهائي بل يقرره العمل الذي يعمله أحد العناصر في كلامه على عنصر آخر .

يبدو هذا العمل جلياً واضحاً فيما تبقى من الوظائف النحوية (وهي أقل بقليل من ثلث مجموعها) ، حيث يكون مستوى التحليل هو الجملة أو اللفظة نفسها ، مثل :

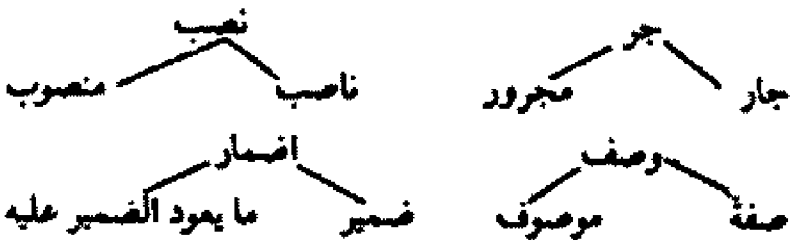

ونستطيع ان نضيف الى هذه الوظائف النعت (مع ان مصطلح ناعت لم يرد في الكتاب ؛ وربما كان المتكلم هو *الناعت) والرفع والجزم .

كما ان هنالك مجموعة من الوظائف في ثلاثيات مما يلفت النظر فيها ان الحرف هو الذي يؤدي دور العامل :

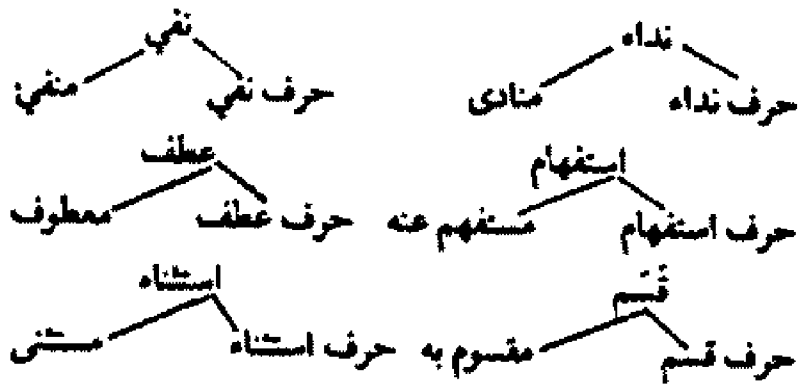

كما تشمل هذه المجموعة كذلك وظائف الندبة والاستغاثة والنهي والاشارة والجزاء وربما ايضاً التنوين اذا ما اعتبرنا ان العامل هو حرف التنوين لا المتكلم . من الملاحظ ان الثلاثيات التي يكون الحرف هو العنصر العامل فيها (من الناحية النظرية لا يمكن له (الحرف) الا ان يقع في ذلك الموقع) ، تقدم مجتمعة تعريفاً للحرف يعتمد على أساس موقعه في الجملة ، ولهذا السبب بالذات نرى سيبويه لا يحاول ان يقدم تعريفاً قاطعاً للحروف في الباب الذي بحث فيه أقسام الكلام[١٥] .

ينبغي على النظام الذي تم شرحه ان يعلل كل عنصر يرد في الكلام العربي : ونحن نعلم ان سيبويه كان ينوي أن يكون كتابه شمولياً ، كما ان نظام الثلاثيات يعني ضمناً ان تؤدي كل وظيفة كلامية بعنصرين احدهما يعمل في الأخر . يستنتج من كل ذلك ان طريقة سيبويه هي بالأساس شكل من اشكال التحليل للمكونات المباشرة I.C. .

اننا نجد تاكيداً لهذه الاستنتاجات لا في الادلة البينة في اسلوب سيبويه في التحليل الفعلي ، وحدها ، بل في بديهيات معينة رمز اليها شكلاً وطبقت بكل دقة ايضاً . فنحن نرى الخليل ، المعلم العظيم لسيبويه ، كان توصل قبل سيبويه (اذا لم يكن بالتشاور معه) الى الاستنتاج بأن تراكيب معينة في العربية تكافىء وظيفياً كلمات مفردة ، وهي بالذات العناصر التي تلحق بالبناء (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٢٣) ، والاسماء المركبة مثل حضرموت (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٧٤ و ج ٢ ، ص ١٢) والاعداد المركبة مثل خمسة عشر (الكتاب : ج ١ ص ١٢) وبعض المركبات المفردة مثل كذا (الكتاب : ج ١ ، ص ٤٧٤) والاسماء التي فيها اداة التانيث ات (الكتاب : ج ١ ، ص ص ٢٤١ وما يليها) ، وياء النسب (الكتاب : ج ١ ، ص ٨٧) ، وياء النداء (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٢٥) ، ولا النافية للجنس (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٥٠) .

يقول الخليل بوضوح ان كل هذه التراكيب « لها منزلة اسم واحد » ولا شك هناك في انها هيأت لسيبويه نقطة الانطلاق لوضع نظامه في التحليل النحوي . وليس هنا مجال لمناقشة الى من تنسب الأصالة ، لسيبويه أم لمعلمه ؛ وحتى يتم التوصل الى تقويم صائب لمدى مشاركة الخليل في « الكتاب » فان الاستنتاجات العامة الآتية تبدو ضرورية :

يتركز اهتمام الخليل في اللغة بصورة رئيسة في نظامها الصوتي (Phonology) ونظامها الصرفي (Morphology) وخاصة حيثما يتعلق الثاني منهما بالحدود بين الكلمات . فلم يكن الخليل نفسه بل تلميذه سيبويه الذي استخرج الفكرة العامة القائلة بأن بامكان الكلمة المفردة المكافئة ان تعادل كل التراكيب الكلامية التي يمكن التعويض عنها بكلمة مفردة . ان ميل الخليل الى استعمال العبارتين : منتهى الاسم وتمام الاسم مقارنة مع تفضيل سيبويه للعبارة الأكثر تجريداً : كَمَلَ الاسم ، يمكن ان يعكس الفرق بين مذهبيهما في البحث . ويمكن على كل حال ان يفترض بدون مجازفة ان سيبويه كان أكثر اهتماماً بالتركيب النحوي syntax منه بالنظام الصرفي ، وان الكتاب ربما لم يكن ليكتب أبداً لو ترك الأمر للخليل[١٦] .

ان التكافؤ بين الالفاظ المركبة والكلمات المفردة يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع مبدأ التعويض ، كما ان هذه الفكرة نفسها كانت معروفة لدى سيبويه ، والى مدى أقل عند استاذه الخليل ايضاً . لقد كان الخليل يدرك بالتأكيد ان بالامكان استبدال جزء من جملة بجزء آخر : فهو يقول ، على سبيل المثال ، ان : علمت انك منطلق ، لها نفس معنى : علمت انطلاقك (الكتاب : ج ٢ ، ص ٣٢) . وقد تساءل ، مع ذلك ، فيما اذ كانت هذه الوسيلة في اعادة صيغة الكلام هي بنفس مستوى التجريد الواعي المشابه لمناقشة سيبويه لجملة مشابهة هي :

عرفت انك منطلق والتي يستنتج بشأنها أن أنّ والكلمات التي دخلت عليهن لهن معاً « منزلة اسم مفرد » يمكن ان تكون وظيفته اما عاملاً أو معمولاً لفعله المحال عليه (الكتاب : ج ١ ، ص ص ٤١٠ و ٤١٦) . ويستعمل سيبويه التحليل نفسه ودون الاشارة الى الخليل ، مع عدد من التراكيب التي تكافىء كلمة واحدة « وهي التراكيب النعتية (الكتاب : ج ١ ص ص ٤٥ و ٢١٠) واشباه الجمل الموصولة من كل الأنواع (الكتاب : ج ١ ، ص ص ٩٥ و ٣٩٧ و ٤١٠ و ٤٣٨ ؛ ج ٢ ، ص ٣٠٩) وكل العبارات التي تعمل فيها أن أو ما يكافئها (الكتاب : ج ١ ص ص ٤٠٧ و ٤١٨ و ٤٦١ ؛ ج ٢ ، ص ٣٠٩) ؛ كما اننا لا نجازف اذا افترضنا ان سيبويه كان وحده الذي جعل مبدأي تكافؤ الكلمة الواحدة والتعويض يشملان كل الوحدات التركيبية التي لم يعالجها الخليل .

هنالك مثال واحد من شأنه ان يبين ارتقاء اسلوب سيبويه في التعويض والتكافؤ . نرى ان جملة : إضرب أيُّ من رأيت أفضلُ (الكتاب : ج ١ ، ص ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) يمكن تحليلها كما يلي :

١ ـ يقول ان عبارة : من رأيت تكافىء « اسماً كاملاً » .

٢ ـ يبين ان : من رأيت ، بوصفها وحدة منفردة هي العنصر الثاني للتركيب الملحق : أي من رأيت ، بأن يعوض بلفظة : القوم ، عن : من رأيت .

٣ ـ يعد التركيب الملحق : أي من رأيت ، مكافئاً بموجب تعريفه لكلمة واحدة ، ويؤكد ذلك باعادة صياغة اللفظة بـ : أيهم .

٤ ـ بذلك يرى ان : أفضل ، ليست خبراً لعبارة : من رأيت ، بل لعبارة أي من رأيت ، كما يتبين ذلك من العبارة المعاد صياغتها : أيُّ من رأيت قومه أفضل .

نستطيع أن نثبت ذلك لأنفسنا بملاحظة ما يأتي : بينما يمكن استبدال عبارة : من رأيت ، بعبارة : هم ، واستبدال عبارة : أي من رأيت ، بعبارة : الذين (الكتاب : ج ١ ، ص ٣٩٨) فليس من الممكن ان تستبدل بعبارة : من رأيت أفضل ، شيئاً أصغر منها ، ليبين ذلك ان هذه العبارة تتعارض مع حدود المكونات ويمكن للشكل التالي أن يوضح لنا ما نعنيه :

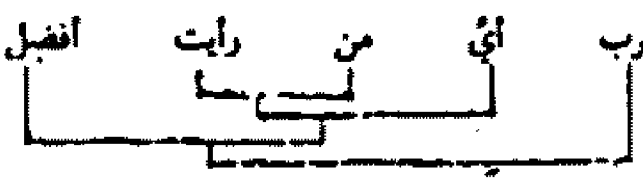

ان احدى سمات النحو الذي يقدمه سيبويه والتي تكشف عن علاقة وثيقة مع الافتراضات الرئيسة لطريقة التحليل بالمكونات المباشرة هو مبدؤه المعلن بأن :

« . . . لا تكون ثلاثة أشياء منفصلة بمنزلة اسم واحد » . (الكتاب : ج ١ ، ص ٣٥١) . يستعمل سيبويه هذا المبدأ لبيان السبب في التحديدات المفروضة على استعمال الاشكال البديلة من الصفات عندما يصف اسماً منفياً جنساً . فان كان هنالك صفة واحدة فقط جاز لها ان تأخذ الشكل الشاذ نفسه الذي للاسم الذي تصفه ، وفي هذه الحالة تكون وحدة ثنائية تتأثر بمجموعها للنفي لأنها ، كما يقول سيبويه :

« وأما الذين قالوا : لا غلامَ ظريفَ لك ، فانهم جعلوا الموصوف والوصف بمنزلة اسم واحد » . (نفس المكان) ؛ كما يبين لنا الشكل التالي :

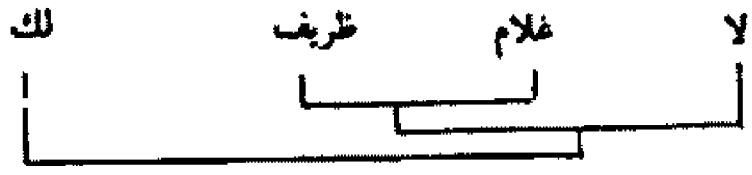

أو قد تتصدر اداة النفي فيكون للصفة مكان الموصوف نفسه من الاعراب ، كما في الشكل الآتي :

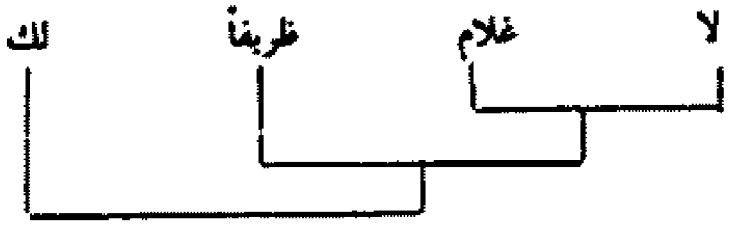

يعبر سيبويه عن رأيه بهذه الحالة بقوله :

« فأما الذين نونوا فانهم جعلوا الاسم و (لا) بمنزلة اسم واحد ، وجعلوا صفة المنصوب في هذا الموضع بمنزلته في

غير النفي » . (نفس المكان) .

والان ، عندما « لا تكون ثلاثة أشياء منفصلة بمنزلة اسم واحد » فمعنى ذلك ان اية صفة اضافية ستأخذ الشكل الاعتيادي ، مثل : لا غلام ظريفاً عاقلاً لك . لان جملة : « لا غلام ظريفاً عاقلٌ لك ، ستؤدي الى الارتباك بين وحدتين ثنائيتين ، النفي للجنس من جهة ووظيفة الوصف من جهة اخرى . ففي حالة جملة :

يبدو واضحاً ان كلمة : عاقلٌ ، تتعارض مع حدود المكونات لتكون وحدة خطأ من ثلاثة عناصر ، وفي الوقت نفسه نرى أن الترتيب البديل الآتي ينتج كذلك وحدة خطأ اخرى من ثلاثة عناصر ، اذ لا يمكن وصف مكانة كلمة : عاقلٌ ، الا على انها نتيجة لنفي الجنس بالأداة : لا .

واخيراً فهناك جانب من نظام سيبويه في النحو جدير بالاشارة اليه لكونه يعزز الانطباع عنه بأنه بالدرجة الاساسية يحلل الكلام على منهج المكونات المباشرة . لنبدأ بما يقوله آر . أچ . روبنز حول الموضوع نفسه :

« في اللغة التي يحدث فيها ان تحليل المكونات المباشرة يتقاطع مع حدود الكلمات بدرجة متكررة في بنية الجملة ، ستكون الكلمة نتيجة ذلك ذات فائدة أقل كوحدة اساسية في النحو » . (Robins , 1964 , P.240) .

الواقع ان هذه الظاهرة كثيرة الحدوث في العربية مع ذلك الصنف من الوحدات الصرفية التي يسميها النحويون العرب بالظروف ، أي ما يدل على الزمان والمكان . فعندما تقع هذه الوظائف الكلامية موقع الخبر فان التقاطع مع الحدود غالباً ما يحدث (الكتاب : ج ١ ، ص ٣٥١) :

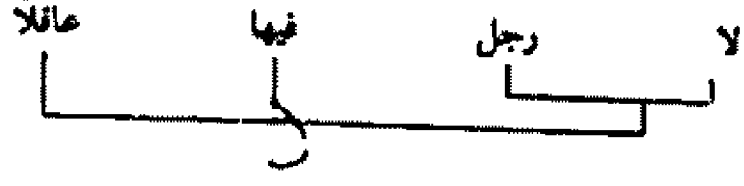

غير ان بالامكان اجتناب هذا التمزيق باللجوء الى الالغاء الذي يمكن بوساطته حرمان العناصر من قوة عملها لتصبح ، كما يقول سيبويه :

« . . . حتى يكون المتكلم كأنه لم يذكرها في هذا الموضع » (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٤٣) ، فتكون الجملة كالآتي :

(الكتاب : ج ١ ، ص ٣٥١) .

يظهر هذا الالغاء اشد ما يكون وضوحاً في التركيبين البديلين الآتيين : فيها عبدالله قائماً ، أو : فيها عبدالله قائمٌ . (الكتاب : ج ١ ، ص ٢٦١) . في التركيب الاول تعمل : فيها ، خبراً متقدماً بحيث تصبح كلمة : قائماً ، دخيلة على بنية الجملة التامة كما يبين ذلك شكلها المشروط[٦] .

وفي الشكل التالي اشير الى هذه الزيادة التي يمكن الاستغناء عنها بالخط المنقط :

وفي الشكل الآخر التالي اصبحت كلمة : فيها ، هي التي استغني عنها بوساطة الالغاء فاصبحت كلمة : قائمٌ ، خبراً :

ليس هناك شك في ان وسيلة سيبويه في الالغاء هي نوعاً نفس ما يدعوه روبنز (وبشيء من الابهام في الواقع) : « . . . ذات فائدة أقل بوصفها وحدة أساسية في النحو » .

ان هذه النقاط المعينة في نظام سيبويه والتي تشابه منهج

تحليل المكونات المباشرة هي نفسها بعض من الشبه العام بين المنهجين . فكلاهما يتحدد بمستوى التركيب السطحي (sur-face structure) . وهما بالضرورة ينظران الى اللغة باتجاه تسلسلي (Linear) (قارن بين مصطلح النحو أي « طريقة » في التكلم ومصطلح « السلسلة الاداتية » Chaine Parle) بحيث لا يمكن التمييز بين التراكيب المتشابهة إلا بالرجوع الى الوظيفة الدلالية (مع انه لا سيبويه ولا منهج تحليل المكونات المباشرة يرجعان الى معاني المفردات ان أمكن تجنب ذلك) .

ان ما أرجوه هو أن يكون هذا الوصف التمهيدي بعض الشيء سينجح في اجراء موازنة مفيدة بين نحو سيبويه ومنهج تحليل المكونات المباشرة ، والأهم من ذلك ان اكون وفقت في عرض عناصر منهجه النحوي باسلوب أكثر دقة وتماطفاً مما قدم له شارحوه وناقدوه حتى هذا اليوم . ولا زال هناك الكثير الذي ينبغي أن يقال عن سيبويه ومكانته في تاريخ اللسانيات ، لذا يجب أن ينظر الى هذه الدراسة على أنها دعوة لاتخاذ موقف محدد من القضية تصدر عن شخص يرى لو أن سيبويه كان قد ولد في عصرنا هذا لوجد لنفسه مكاناً بين دو سوسور (de Saussure) وبلومفيلد (Bloomfield) .

الهوامش

(١) سأشير الى نسخة بولاق من الكتاب (١٨٩٨ ـ ١٨٩٩) بالحرف B ، والى نسخة هرتبورغ ، (باريس ١٨٨١ ـ ١٨٨٩) بالحرف D . ان ترقيم الصفحات في النسخة D هو كما جاء في حاشية ترجمة يان للكتاب (برلين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٠) الا ان هذه الترجمة لا يمكن الاعتماد عليها . (٢) يكاد يكون كل ما نعلمه عن سيبويه بدأ في الأصل بدرس الفقه وانه مات ما بين ٧٧٧ و٨٠٩م وسنه حوالي الاربعين . (٣) يعد الكتاب منهجاً وصفياً الى درجة يصبح معها عديم الفائدة كمنهج معياري في النحو . ومن الخطأ الفادح ان نعامل هذا العمل الضخم على ضوء فكر النحاة المتأخرين ، كما فعل كورستاف يان وآخرون غيره .

(٤) ربما كان سيبويه اتفق مع التعريف الأول لبلومفيلد من أن « الفعل الكلامي لفظ » . (Bloom field , 1926 , P.153) . (٥) ان القيم الخلقية والشريعة يرتبط بعضها ببعض بدرجة وثيقة في الاسلام . وعلينا ان نلاحظ ان سيبويه ربما كان بدأ حياته بدرس الشريعة . ومن طريق نقل التعابير السلوكية ثم تجسيد اللغة كائناً حياً حتى صارت العلاقة بين الكلمات توصف أحياناً كأنها بين أم وبنائها ، كما استعملت مفردات اخرى مثل : سليم وصحيح وحي وميت وعامل ومشغول . (٦) وبكلمة اخرى يجب ألا ينظر الى الالفاظ على أنها مسائل منطقية ، وهو خطأ سرعان ما استمكن لغته مرتعاً في نظرية النحو العربي . (٧) من الطبيعي ان ليس من مصلحة سيبويه ان يشغل نفسه بالفاظ غير صحيحة من هذا النوع ، مع انه يشير باختصار ورودها في الشعر العربي ، كقوله :

« ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه ، لأنه مستقيم ليس فيه نقض ، فمن ذلك قوله :

صددت فأطولت الصدود وقلما

وصال على طول الصدود يدوم

وانما الكلام : وقل ما يدوم وصال » (الكتاب : ج ١ ، ص ١٢) .

(٨) لهذه المصطلحات مرادفات في الكتاب ، مثل جيد وجميل وضعيف وخبيث ورديء . (٩) وتأتي مثل هذه الالفاظ غير صحيحة بنيوياً (راجع الكتاب : ج ١ ، ص ٢٩) . (١٠) ان فكرة الخليل هي ان المتكلمين ملزمون بما يتظره المخاطب من اكمال الجملة التعادلية حالما يبدأ المتكلم بها (راجع الكتاب : ج ١ ، ص ٣٩٤) . كما ان الكتاب كثيراً ما يثير مسألة « سياق الحال » باعتباره عاملاً يؤثر في الصواب النحوي للفظة . (راجع الكتاب : ج ١ ، ص ص ٢٩١ وما بعدها) . (١١) اثبت العالم النحوي الالماني (ويس) منذ وقت طويل في مقالة مهمة ان العمل عند سيبويه لا علاقة له بالمفهوم اللاتيني : التحكم (governance) ، (Weiss , 1910) . (١٢) ينبغي ملاحظة ان هذا المصطلح لا يرد الا اربع مرات في الكتاب ، ولم انه يظهر لاحقاً كمصطلح اعتيادي لتركيب الجملة المتعادلة . (١٣) يبدو سيبويه متناقضاً بعض الشيء في مصطلحات الجملة المتعادلة : فهو يستعمل الابتداء والمبتدأ به الا انه لا يأتي بمصطلح مقابل للمسند (Predicate) . وبدلاً من ذلك يستعمل اما مصطلح الخبر أو المبني عليه . ويتلاءم المصطلح الأخير مع الترتيبات الثلاثية

المقترحة ، على الأقل لكونه اسم مفعول . قد يمثل هذا التلبيب امتزاج نوعي التحليل اللغوي اللذين ورثهما سيبويه ، وهما التحليل البنيوي والتحليل الدلالي . (١٤) عندما يصف سيبويه الحرف أنه « جاء لمعنى » (الكتاب : ج ١ ، ص ٢) فربما كان يقصد معنى نحوياً باعتبار الحرف يأتي عضواً في احدى الوظائف الكلامية . يؤكد ذلك حقيقة ان فكرة المعنى ترد في الكتاب كثيراً في سياق بحث الوظائف ، كما في الكتاب ، الجزء الأول ، ص ص ١ و ٤٨ و ٢١١ وكثير غيرها . ان تعريف سيبويه المستند الى موقع الحرف في الجملة يتفق تماماً مع مقولة ڤر . أس . ويلز بأن : « تبوب الوحدات الصرفية (المورفيمات) حسب اصناف الوحدات الصرفية استناداً الى البنية الكلامية التي تقع فيها » .

(Wells , 1947 , P.81) . (١٥) لا نعلم في الواقع ان الخليل قد ألف أي كتاب في النحو حسبما تشهد به المصادر التي وصلتنا عن مؤلفاته . (١٦) ان الوحدة الصرفية المشروطة (غير المستقلة) في العربية تبين ما يمكن ان يستغني عنه بنيوياً في الجملة التامة الصغرى . وقد ناقش سيبويه هذه النقطة بإسهاب خاصة بالنسبة لعبارة « عشرون درهماً » (راجع مقالة الكاتب « عشرون درهماً في كتاب سيبويه » (Carter , 1972) والتي ترجمها الى العربية الدكتور عبداللطيف الجسيلي (المورد ، المجلد ١٦ ، العدد ١ ، ١٩٨٧) وبسبب المنزلة الخاصة للكلمات غير المستقلة فلم احاول في هذه الدراسة ان أعيد المكان للتلاقي البديهي المكون من الفصل والفاعل والمفعول .

مراجع البحث :

Bloom field , E.g.L., 1926 , A set of Postulates for the Science of Language , Language 2 , P. 153 .

1 . Bloom field , E.g.L , 1935 , Language , London (1957).

2 . Carter , M.G., 1972 , ' Twenty Dirhams in the Book of Sibawayh ' B.S.O.A.S.35 .

ترجمها الى العربية الدكتور عبد اللطيف الجسيلي ، المورد ، المجلد ١٦ ، العدد ١ ، ص ص ١١٩ ـ ١٢٨ .

3 . Carter M.G., 1973, ' An Arab Grammarian of the Eighth Century ' J.A.O.S.93 .

4 . Harris , Z.S., 1951, Methods in Structural Linguistics , Chicago .

5 . Robins , R.H., 1964 , General Linguistics An Introductory Survey , London .

6 . Semaan , K.I.H., 1968 , Linguistics in the Middle Ages , Leiden .

Wells , R.S., 1947 , ' Immediate Constituents ' , Language . 23

صدر عن دار الشؤون الثقافية